الأستاذ عبد العليم ومساهمته في الأدب العربي

أبوذر

السنة الأولى في الماجستير

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي كراه الإسلامية

إن أرض الهند تعرف منذ زمن قديم بكونها أكبر مركز للعلم والفن والأدب، وتمتاز عن دول العالم جميعا بما نبغ فيها من شخصيات بارزة أسهمت إسهامات قيمة في مختلف مجالات الحياة من العلوم والفنون، كما إنها أنجبت عباقرة وعصاميا، لهم دور ريادي في إزدهار الهند حضارة وثقافة بالرغم من وجود ديانات مختلفة وثقافات متنوعة. والأستاذ عبد العليم هو واحد من هؤلاء الأفذاذ، برز شخصيته في بداية القرن العشرين، وتلألأ اسمه على سماء الفن والأدب بما كان له من إسهامات قيمة وتحقيقات نادرة، ورفرف رأيته في مجالات مختلفة بما يتمتع بها من مؤهلات علمية. ولا تزال شخصيته لامعة بحسن أخلاقها وأشد صمتها حتى لا يتجرأ

أحد على أن يتكلم أمامه بما كان له من وقار وهيبة. تدفقت إليه المناصب فتقبلها وأدى مسؤلياتها بكل شوق ورغبة.

إنه كان أديبا أريبا، وخطيبا مصقعا، ومدبرا عظيما، ورجلا صالحا. فاق على أقرانه وأترابه في كثير من المجالات، وإن حياته كتاب مفتوح لمن يريد الأخذ منه شيئا والاطلاع على علمه الواسع بعيدا عن التعصب الديني وبصرف النظر عن عقيدته.

نشأته وحياته العلمية والعملية:

كان الأستاذ عبد العليم من أبرز الأدباء المعاصرين في الهند، ولد بقرية صغيرة من مديرية غازي فور بولاية أترابرديش عام ١٩٠٤م في شهر أغسطس. وترعرع في أحضان الطبيعة. تلقى تعاليمه البدائية في القرية ثم رحل إلى دهلي والتحق بالجامعة الملية الإسلامية، فتخرج فيها بعد الحصول على شهادة البكالوريوس باللغة العربية في عام ١٩٢٦م وغادر إلى ألمانيا لاكتساب المزيد من التعليم العالي، وقضى هناك أكثر من أربع سنوات شاغلا نفسه في المطالعة والدراسة واطلع على ما يسود فيه من منهج البحث والتحقيق وراعى له في كتاباته

وتحقيقاته. وكتب الأطروحة حول موضوع "تاريخ عقيدة اعجاز القرآن" ففوضته جامعة برلن شهادة الدكتوراة على ذلك. ثم رجع إلى الهند وعين أستاذا لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية وبقي على ذلك إلى عام ١٩٣٣م. ثم تولى منصب الأستاذ للأدب العربي في جامعة علي كره الإسلامية وجامعة لكناؤ على التوالي، ثم عين أستاذا في قسم اللغة العربية بجامعة علي كره الإسلامية، إذا دعاه رئيس الجامعة ذاكر حسين في ذلك الوقت، فلبى دعوته ووصل إلى علي كراه مع أسرته. وقضى أربع سنوات في قسم اللغة العربية وآدابها ثم تقدم إلى منصب البروفيسور وعين رئيسا لها من مدة ١٩٥٤ إلى ١٩٦٨م. وحصل على كثير من الانجازات أثناء إدارته بها. وأصبح رئيسا للجامعة من مدة ١٩٦٨م إلى ١٩٧٤م وهي من اكبر انجازاته في حياته، ووصل إليها بعد الجهد المتواصل والعمل الدائم وحسن أخلاقه ومؤهلاته العلمية. ثم فوض استقالته قبل أن تنتهي مدة إذا عين رئيس مجلس الأردية ومستشار وزارة التعليم في حكومة الهند بنيو دهلي من عام ١٩٧٤م إلى أن وافاه الأجل في ٨ من فبراير ودفن في مقبرة

جامعة علي كراه الإسلامية. واحتشد الناس في تشييعه ما يدل على ما نال من القبول والتقدير والاحترام بما أنه بذل قصارى جهوده في أداء مختلف المناصب وشتى المسؤليات.

كان من أعماله الجليلة أثناء منصب رئاسته لقسم اللغة العربية وآدابها، انتقال القسم من رواق عثمانية إلى مبنى ظهور حسين وهو كان خاليا بعد استقلال الهند. ويتكون قسم اللغة العربية وآدابها على غرفتين أو ثلاثة غرف حين تحمل مسؤلية رئاسته الأستاذ عبدالعليم، كما لم يكن هناك أساتذة سوى عبد العزيز الميمن وغيره. ولم تمض أيام إلا أنها قد شهد تطورا ملموسا ورقيا بالغا وقام بإنشاء قسم الدراسات الإسلامية التي كانت تضم بقسم اللغة العربية وجعلها قسما مستقلا وأقام مكتبة ضخمة للدراسة والمطالعة والبحث. ولا تزال باقية في عصرنا الحديث ودالة على همته العالية وأعماله الخالصة وجهوده الهائلة.

مساهمته في الأدب العربي:

كان الدكتور عبد العليم من أبرز الأدباء المعاصرين، وإذا نخوض في بحر العلم والأدب خاصة فيما يتعلق به، فلا نجد أنه خلف لنا ثروة علمية ضخمة. نجد بعض الكتب والمقالات الأدبية كإرث علمي ثر. ولكن ما ترك لنا من الآداب والفنون هو دال على نظره الثاقب وفكره العريق ومطالعته الواسعة واطلاعه العميق على الأوضاع الأدبية والسياسية التي مرت بها الهند والشعب. قال آل احمد سرور عنه:

" إنه كان ليس ماهرا بالكتابة بل بالخطابة، وقد شاع بين الأوساط العلمية أنه يجهل باللغة العربية بحيث أنه لا يقدر على التكلم بها أو الكتابة فيها بسبب قلة أعماله العلمية بتلك اللغة خطابة أو كتابة. وفي الواقع إن لا يقدر أحد على التكلم والكتابة في أي لغة، فلا يعني منه أنه جاهل عن تلك الغة بأسرها"

فمن أهم أعماله العلمية "تاريخ عقيدة اعجاز القرآن" وطبع هذا الكتاب بدهلي في عام ١٩٣٢م. وهو في الحقيقة تلخيص مقالته للدكتوراة التي قدمها للحصول على شهادة

الدكتوراة في جامعة برلن. وهو يبحث عن تصور اعجاز القرآن متى ظهر؟ وأي مراحل يمر بها أثناء مختلف العصور والدهور. حاول الأستاذ عبد العليم محاولة جيدة لتقديم ذلك البحث العلمي في أسلوب رائع جميل. إذا نشر هذه المقالة فكان في عصره اليافع والنهوض، ولكن بعد دراستها العميقة يتجلى للقارئ أنها محاولة علمية لمحقق ناضج راسخ.

وقد أصاب عابد حسين إذ قال عن مقالته بعد استعراضها العميق:

"ولها ميزتان مهمتان، الأول منهما أن المؤلف قد كتبها بعد جهده المتواصل، فإنه استغرق في المطالعة والدراسة والفكر العميق ثلاثة أعوام ثم أكب على كتابته. ويتبين لنا منه أن التحقيق العلمي يحتاج إلى الصبر والمصابرة والجهد الدائم والاستقامة. وثانيهما إنها تضيف في مآثر أبناء القديم للجامعة الملية الإسلامية، الذي قضى حياته الجامعية فيها. فهو يدل على أن الجامعة الملية الإسلامية قد أنجبت طلابا وشابا يحملون في طيهم القلب السليم والعقل الناضج بالرغم قلة الأسباب والعوامل.

قد خلف لنا سوى هذا الكتاب بعض الكتب العلمية والنقدية والمقالات الأدبية والفنية، منها "الهند المهند" و"الأدب العربي في الهند والدراسات العلوم الإسلامية". تتضمن هذه المقالة حقائق تاريخية قيمة وبحث عن وجود الأدب العربي في الهند وما مر من تاريخه العريق على مرور الأيام والعصور وما يحتاج إليه من القطع والإضافة في عصرنا الحديث، والنقد على الأسلوب الدارجة في زمنه في الجامعات المعاصرة. و"النقد في الأدب العربي القديم" وكل هذه المقالات قصيرة لكن لا تقل أهميتها في أي زمن من الزمان.

وأضف إلى ذلك كتابه حول موضوع "السيرة النبوية والمستشرقين" وقام بنشر كتاب "البيان في اعجاز القرآن" للخطابي، وكتاب "في اعجاز القرآن" للروماني بعد تعليقه عليهما. وقد كتب المقدمات لبعض الكتب مثل كتاب حافظ غلام مصطفى المسمى"ابن الفارض" وغير ذلك.

وبعد استعراض عميق لحياته الحافلة بأنواع من الإنجازات، وصلنا إلى أنه من العبقريات والعصاميات. فمما لا شك فيه أنه قد بلغ إلى ذروة العز والمجد بمواهبه العميقة وأخذ الطريق

السوي. إن شخصيته تصرخ بصوت جهوري أن الجهد المتواصل والعمل الدائم والإخلاص في الأعمال يمهد الطريق إلى الفوز والنجاح.

المصادر:

١-راجع للتفصيل مضمون "روداد حيات" لسيد المرتضى، الشامل في كتاب "عليم صاحب" رتبه سالم قدوائى

٢-أنظر للتفصيل: "بروفيسر عليم صاحب" محمد راشد

٣- أنظر للتفصيل: مضمون محمد جمشيد الندوي، الشامل في الكتاب المسمى "عبدالعليم، شخص، أديب، عالم